١. المُقدمة

ثمة صورة سلبية عن العرب تكونت بسبب مقولة وردت في الكتاب المقدس عن اسماعيل ابن ابراهيم. حين قال ملاك الرب لهاجر ام اسماعيل عن الجنين في بطنها : « يكونُ رَجلاً كحمارِ الوحشِ » [١]

الحمار الوحشي رمز سلبي في نظر الكثيرين. اذ يرون أن الحمار حيوان غبي، وعادة ما يصفون الانسان الغبي أو غير المؤدب بالحمار. وقد فسّرت الاية المذكورة دائما بأن العرب هم رجال النهب والقتل.

فهل قال الملاك حقا ان اسماعيل ونسله يكونون أغبياء او مشاكسين؟ ام كانت للمقولة رسالة اخرى؟

٢. الكلمة باللغة الاصلية

سفر التكوين مكتوب باللغة العبرانية والكلمة المستخدمة هي « פרא » ويقابلها « فرا » بالحروف العربية. وتتشابه مع الكلمة العربية القديمة «الفرأ» او «الفراء». هذه الكلمة ليست مستخدمة حاليا، ولكن موجودة بتعبير عربي قديم ، و هو : « كل الصيد في جوف الفراء ». يشير الفراء الى حمار يعيش في الصحراء.
ولأن كلمة الفراء ليست معروفة لدى معظم قارئي الكتاب المقدس في حاضرنا, فقد استخدم المترجمون «الحمار الوحشي » حتى أن بعضهم استبعد كلمة حمار وفقالوا: « سيكون انسانا وحشيا ».

في هذا **المبحث** سوف نستخدم الحمار الوحشي بمعنى الفراء, الذي له شكل الحمار المعتاد وليس الحمار الوحشي المخطط الذي يعيش في افريقية.

٣. الحمار الوحشي كحيوان

يصف الموقع Animal Diversity Web كما يلي [٢]:

«أ - السلوك:.. الحمير هي حيوانات اجتماعية في البرية تتنقل في مجموعات قد تبلغ مائة فرد. الحمير حيوانات حذرة تستشعر الخطر وترفض القيام بأي شيء يعود عليها بالأذى. وبسبب هذا السلوك اكتسب الحمار سمعة لكونه عنيد، ولكن في الواقع، الحمار المحلي هو حيوان مطيع جدا ولا يرفض أي أمر معقول.
وعندما يدرك الحمار مصدر خطر ما ، فانه لا يفر خوفا, بل إن غريزته الطبيعية هي التي تقوده الى تجميد خطواته أو تحريك عدد قليل منها، ثم ينظر ليرى ما أخافه ..
الحمار المحلي يتفاعل جيدا مع الحيوانات الأخرى مثل الخيول والأبقار والماعز والأغنام واللاما.
والحمير عموماً ليست ناشطة بطبيعتها، ولكن تهب دائماً لتحمي صغارها بكل قوة عند شعورها بخطر ما قد يهددها ، ويمكن تدريبها لحماية الأغنام والماعز أيضا.
الحمار لا يتردد في المهاجمة ويدوس الكلاب الكبيرة أو حتى البشر إذا أدرك أنه مهددا.
وتستخدم الحمير كمرافق للحيوان المفطوم أو العصبي أو المجروح حتى يتعافى. وللحمير تأثير مهدئ على الحيوانات وتساعد على تقليل الإجهاد من الحالات المؤلمة. كما يتم استخدام الحمار كحيوان أليف في برامج ركوب ترفيهية للأطفال وللمعوقين عقليا وجسديا، بسبب تصرفه الهادئ واللطيف

ب - العادات الغذائية : الحمير حيوانات عاشبة ، أسنانها كبيرة مسطحة مناسبة لقطع ومضغ النباتات. غذاؤها الرئيسي هو العشب، لكنها تأكل الشجيرات وغيرها من النباتات الصحراوية أيضا.
ج - الأهمية الاقتصادية للبشر: الحمير كانت مهمة جدا في تطوير التجارة التي تحتاج الى قطع مسافات طويلة في مصر القديمة، بسبب قدرتها على حمل الوزن وتكيفها مع السفر في الصحراء. تدر الإناث الألبان ويتميز حليبها بارتفاع السكر والبروتين فيه عن مثله في حليب البقر. الحمير ثمينة لنقل الوزن طوال التاريخ وحتى اليوم، وهي ذات أهمية اقتصادية كبيرة خاصة في المناطق الريفية. واستخدامها على نطاق واسع في الجهود الرامية إلى تعزيز الاقتصاد وتخفيف الفقر في المناطق الفقيرة في العالم.

ورغم أهميته وتميز دوره في تاريخنا , الا اننا نقلل من شأنه ونتحدث عنه بازدراء واحتقار.

الا أن موقع الانترنت factzoo.com يبرز قيمته الايجابية, قائلا [٣] :
«ان الحمار من أكرم الحيوانات. وهو رصين، صبور، حذر، ذكي، لديه القدرة جيدة على التحمل, وخلافا للاعتقاد الشائع، فهو ليس عنيدا. بل مطواعاً، وقد يكون الكلب أفضل صديق للرجل ولكن الحمار ليس غريبا».

ويصوغ تركي بني خالد افكار مميزة عن الحمير في مقاله «كلام في الحمير» [٤] :
«أن تكون الحمير أفضل مرشح لصداقة الإنسان- هذا إذا رضيت معاشر الحمير بأن تكوِّن مع الإنسان صداقة! فالإنسان معروف بالغدر، والخداع، وقد لا تنفع سياسة حسن النوايا معه!
والحمير متهمة زورا وبهتانا بالعناد، أو بالغباء، أو البلادة، لكن معظم هؤلاء الذين يؤلفون أو يصدقون هذه التهم من البشر- وهم متحيزون بطبعهم- اسألوا من يربون الحمير في مزارعهم...يا إلهي كم مظلومة هي الحمير! الحمير.. وليس الخيول هي التي ترفض أن تزج بنفسها أو يزج بها الآخرون في مواقف خطيرة، ألا يدل ذلك على ذكاء؟ والحمير فقط تعرف متى ترفس، ومن ترفس، لكنها لا تحقد مثل الجمل، ولا تلقي بنفسها إلى التهلكة، مثل الفراشات وبعض البشر. ولا تخفي رأسها في الرمل كالنعامة الحمقاء».

وكان الملوك والقضاة يركبون الحمير في الشرق الاوسط. [٥]

وحتى في الامثال هناك صورة ايجابية عن الحمار, مثلا:
«اضرب الوثاف يفهم الحمار»
و«التكرار يعلم الحمار»

حمير وحش في عمان

اذاً, فقد كان التعبير "الحمار الوحشي" صورة ايجابية لهاجر عن ابنها اسماعيل.
ومع ذلك, فماذا كانت رسالة الله لهاجر عن نسلها؟ يمكننا ان نكتشف معنى التعبير في باقي الكتاب المقدس.

٤. الفراء او الحمار الوحشي في الكتاب المقدس

يوجد عدد لا بأس به من الكلمات الدالة على الحمار في اللغة العبرانية القديمة. العهد القديم يستخدم خمس كلمات وهي חמור (chămôr), אתון ('âthôn), עיר ('ayir), ערד ('ărâd - كلمة كلدانية), ערוד ('ârôd) و פרה او פרא (pere' or pereh).[٦]
وبالكلمات الثلاثة الاولى يشير الى الحمار المُدجن وبالكلمات الأخرى يشير الى الحمار الذي يعيش في الصحراء. يوجد الكلمتان 'arad و 'arod مرة واحدة فقط ولذلك لن نركز عليها هذا الدرس.

الفراء مذكور عشر مرات وقد يكون استخدام الفراء على وجهين, وهما حرفية ومعنوية ، وذلك بمعنى سلبي او ايجابي او محايد.
وللفهم الصحيح, علينا امعان النظر في كل مرجع, كما هو مذكور في الجدول التالي:

الموقع	نص الاية من الترجمة فان دايك	المحدث	طريق الاستخدام	المعنى
التكوين ١٦: ١٢	وَانَّهُ يَكُونُ انْسَانا وَحْشِيّا يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ وَامَامَ جَمِيعِ اخْوَتِهِ يَسْكُنُ	ملاك الرب	معنويا	ايجابي ؟
ايوب ٦: ٥	هَلْ يَنْهَقُ الْفَرَاءُ عَلَى الْعُشْبِ أَوْ يَخُورُ الثَّوْرُ عَلَى عَلَفِهِ؟	النبي ايوب	معنويا	محايد
ايوب ١١: ١٢	أَمَّا الرَّجُلُ فَفَارِغٌ عَدِيمُ الْفَهْمِ وَكَجَحْشِ الْفَرَا يُولَدُ الإِنْسَانُ.	صوفر	معنويا	محايد
ايوب ٢٤: ٥	هَا هُمْ كَالْفَرَاءِ فِي الْقَفْرِ يَخْرُجُونَ إِلَى عَمَلِهِمْ يُبَكِّرُونَ لِلطَّعَامِ. الْبَادِيَةُ لَهُمْ خُبْزٌ لأَوْلاَدِهِمْ.	النبي ايوب	معنويا	ايجابي
ايوب ٣٩: ٥	مَنْ سَرَّحَ الْفَرَاءَ حُرّاً وَمَنْ فَكَّ رُبُطَ حِمَارِ الْوَحْشِ؟[٧]	الله	حرفيا	ايجابي
مزمور ١٠٤: ١١	تَسْقِي كُلَّ حَيَوَانِ الْبَرِّ. تَكْسِرُ الْفِرَاءُ ظَمَأَهَا.	النبي داود ؟	حرفيا	محايد
اشعيا ٣٢: ١٤	لأَنَّ الْقَصْرَ قَدْ هُدِمَ. جُمْهُورُ الْمَدِينَةِ قَدْ تُرِكَ. الأَكَمَةُ وَالْبُرْجُ صَارَا مَغَايِرَ إِلَى الأَبَدِ مَرَحاً لِحَمِيرِ الْوَحْشِ مَرْعىً لِلْقُطْعَانِ.	الله, عن طريق فم النبي	حرفيا	محايد
ارميا ٢: ٢٤	يَا أَتَانَ الْفَرَاءِ قَدْ تَعَوَّدَتِ الْبَرِّيَّةَ! فِي شَهْوَةِ نَفْسِهَا تَسْتَنْشِقُ الرِّيحَ. عِنْدَ ضَبَعِهَا مَنْ يَرُدُّهَا؟	الله, عن طريق فم النبي	معنويا	سلبي
ارميا ١٤: ٦	الْفَرَاءُ وَقَفَتْ عَلَى الْهِضَابِ تَسْتَنْشِقُ الرِّيحَ مِثْلَ بَنَاتِ آوَى. كَلَّتْ عُيُونُهَا لأَنَّهُ لَيْسَ عُشْبٌ	الله, عن طريق فم النبي	حرفيا	محايد
حشيا ٨: ٩	لأَنَّهُمْ صَعِدُوا إِلَى أَشُّورَ مِثْلَ حِمَارٍ وَحْشِيٍّ مُعْتَزِلٍ بِنَفْسِهِ. اسْتَأْجَرَ أَفْرَايِمُ مُحِبِّينَ	الله, عن طريق فم النبي	معنويا	ايجابي

من الواضح ان كل مرجع حرفي أشار الى الفراء هو محايد او ايجابي. ولا يذكر اي شيء سلبي عن سلوكه.

اما المراجع المعنوية فقد ورد فيها المعنى محايداً او ايجابياً , الا في سفر ارميا ١٤, حيث تتم مقارنة بين إسرائيل المخلصة والزانية وحمار الإناث التي تبحث يائسة عن الذكر لتتزاوج معه. ولكن حتى هناك، فإنه لا يقول شيئا سلبيا عن الحمير ذاتها، لأنه يذكر الناقة بنفس الطريقة في الآية 23، وفي إرميا ٥ :٨ الخيول المذكورة بطريق مماثل.

يتم العثور على صور إيجابية للفراء في سفر هوشع، حيث يُقال أنه يتصرف أفضل من إسرائيل وفي سفر ايوب 24، حيث أشاد الحماس مقارنة مع غيرة الفقراء لتوفير الغذاء لأسرهم.

وكما أن كلمة الحمار هي وصف رمزي لإسماعيل، لكنها تستخدم أيضا للدلالة على حيوانات أخرى بطريق رمزي لوصف الناس.
و يشير تيسير سادة إلى أن يعقوب شبّه خمسة من أبنائه بالحيوان .كان يهوذا شبل أسد ويساكر حمار قوي ودان حية ونفتالي لهند وبنيامين ذئب. (سفر التكوين ٤٩: ٩, ١٤, ١٧, ٢١, ٢٧) [٨]
ولا شك أن ثلاثة من هذه الحيوانات خطيرة.

وفي ضوء هذه المقارنات السابقة تكون صورة إسماعيل كحمار وحشي ليست سلبية بالتأكيد.

فالاستنتاج ان اسماعيل كفراء او حمار وحشي على الارجح ايجابي. لكن يبقى السؤال...
ما معنى ذلك التعبير وما هي دلالته ؟

٥. المعنى في سفر التكوين

إن وصفَ الفراء في سفر ايوب ٣٩: ٥ - ٨ يوضّح لنا المعنى المعنوي جيدا. قال الله :
«مَنْ سَرَّحَ الْفَرَاءَ حُرّا وَمَنْ فَكَّ رُبُطَ حِمَارِ الْوَحْشِ؟ الَّذِي جَعَلْتُ الْبَرِّيَّةَ بَيْتَهُ وَالسِّبَاخَ مَسْكَنَهُ. يَضْحَكُ عَلَى جُمْهُورِ الْقَرْيَةِ. لاَ يَسْمَعُ زَجْرَ السَّائِقِ. دَائِرَةُ الْجِبَالِ مَرْعَاهُ وَعَلَى كُلِّ خُضْرَةٍ يُفَتِّشُ.»

من الملاحظ هنا أن الفراء صورة عن الحرية. يضحك على جمهور القرية ولا يسمع زجر السائق.
ولذلك هذا الرمز مناسب جدا لاسماعيل لأن هاجر كانت خادمة لا تملك حريتها.
فقد وعد الله هاجر بان ابنها سيكون حراً !
ويوجد قاسم مشترك آخر بين الحمار الوحشي وبين اسماعيل... فالاثنان يعيشان في البرية.

٦. الاستنتاج

ومما سبق نستنتج إن الحمار حيوان ايجابي في سلوكه وفي فوائده للبشر ليس عنيفا ولا يقدر ان يقتل.
وأن صورة الفراء او الحمار الوحشي في الكتاب المقدس محايدة او ايجابية, وذلك مطابق لسلوكه وصفاته.
والحمار الوحشي رمز الحرية. وأنه كان بمثابة رسالة ايجابية لهاجر بالتأكيد. حينما كانت عبدة هاربة عندما ظهر لها ملاك الرب، وحين كانت تسعى الى التحرر من حالة العشيقة القاسية عليها.
ومكانتها باعتبارها عبدة, ولكون ذريتها سيكونون عبيدا ايضا. ولكن مع ذلك كله, وعد الله هاجر أن ابنها لن يكون عبدا، بل رجلا حرا !

فتحقق الوعد تماما بأن اسماعيل ونسله من البدو العرب ، الذين سكنوا الصحراء ولم يستسلموا لأي ملك في تاريخهم.
وحتى اليوم , فإنهم يتجولون بحرية طبيعية في التنقل بين دول الجزيرة العربية، من دون جواز سفر أو قيود أخرى.

اما روحيا, فقد عاش كثيرون من نسل اسماعيل في عبودية لله تحت الشريعة الاسلامية وما زالوا يؤمنون بأن العبودية لله أفضل طريق للبشر. وإلى الآن يُسمي بعض منهم عبد لله , بينما غاية الله بالنسبة لهم هي الحرية ، ويرون أن العلاقة بينه وبينهم تكون مثل الأب والابن, تماماً كما قال المسيح للمؤمنين:
«إِنَّكُمْ إِنْ ثَبَتُّمْ فِي كلاَمِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تلاَمِيذِي وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ».
لكن الناس لم يفهموه وأَجَابُوهُ: «إِنَّنَا ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ وَلَمْ نُسْتَعْبَدْ لأَحَدٍ قَطُّ. كَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: إِنَّكُمْ تَصِيرُونَ أَحْرَاراً؟»
أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيَّةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيَّةِ. وَالْعَبْدُ لاَ يَبْقَى فِي الْبَيْتِ إِلَى الأَبَدِ أَمَّا الإِبْنُ فَيَبْقَى إِلَى الأَبَدِ. فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الإِبْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَاراً». [٩]

ليكتشف نسل اسماعيل الحرية الكاملة الموعودة لهاجر.

فكرة اضافية :

يوجد خطان اسودان على ظهر كثير من الحمير. ومن اعلى تشبه شكل الصليب. هل لذلك معنى مخفي؟

دخل الرب يسوع المسيح مدينة اوروشاليم (القدس) على ظهر حمار قبل ان يُصلب. وكان الحمار يخدمه. ترى هل من الممكن ان الله لديه خطة خاصة لنسل اسماعيل في آخر الزمن؟ هل ممكن للعرب ان يتحرروا من الشريعة ويساعدوا آخرين ليكتشفوا التحرر من الخطايا بخلاص الرب يسوع المسيح؟

للمزيد من المعلومات:
http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=2131

وباللغة الانجليزية:
http://beforeitsnews.com/politics/2010/12/sunday-hunt-for-links-donkey-edition-327082.html
http://www.biblestudytools.com/encyclopedias/scripture-alphabet-of-animals/the-donkey.html
https://www.studylight.org/commentaries/bnb/job-11.html Section 'Though man be born' under 'Verse 12' (Bible commentator Barnes about Job 11:12)

---

[١] سفر التكوين ١٦: ١٢ من الترجمة المشتركة
[٢] http://animaldiversity.ummz.umich.edu/accounts/Equus_asinus/
[٣] http://www.factzoo.com/mammals/donkeys.html
[٤] http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=2131
[٥] عدد من القضاة (القضاة ١٠: ٣-٤, ١٢: ١٤) والملك داود (٢ صموئيل ١٦: ٢) وابنه سليمان (١ ملوك ١: ٣٨-٤٠) . انظر ايضا الى العدد ٢٢: ٢١ والقضاة ٥: ١٠
[٦] ممكن المراجع حسب نظام الارقام سترونج في الترجمة الانجليزية للكتاب المقدس King James Version : chămôr (Strong's H2543), 'âthôn (Strong's H860), 'ayir (Strong's H5895), 'ărâd (Strong's H6167), 'ârôd (Strong's H6171) و pereh (Strong's H6501)
[٧] الكلمة باللغة الاصلية هي ערוד وليست مستخدمة في باقي الكتاب المقدس
[٨] Saada, Tass. *Once an Arafat Man,* Copyright © by Taysir Abu Saada, 2008
[٩] يوحنا ٨: ٣١-٣٦